

## معارك الرياض

رأينا في الجزء الأول من هذا الكتاب أن الحرب بين دهام بن دواس صاحب الرياض وبين الدرعية ، انتهت إلى سلم وصفاء عام ١١٧٧ هـ . ، وكان ثمن هذا الصلح مبلغاً كبيراً من المال حمله ابن دواس إلى محمد بن سعود .

وفي عام ١١٧٨ هـ . التمس ابن دواس تجديد الصلح ، فاستجاب له محمد بن سعود ، ولم يطلب منه شيئاً ، فتمّ تثبيت الصلح « مجاناً » — كما يقول ابن غنام — وكان ذلك إشارة إلى لون من الثقة بشرف ابن دواس وعهده !

وفي ربيع الأول من عام ١١٧٩ هـ . مرض محمد بن سعود مرض الموت ، فتحركت غريزة الشر والغدر في نفس ابن دواس ، فقام مع رئيس الدلم ، زيد بن زامل ، بالعدوان على «الصبيخات»<sup>(١)</sup> في منفوحة ، وأخذوا سوانبها ، ولكن أهل منفوحة نهضوا لقتالهم وسقط عشرة قتلى من الفريقين .

وهكذا نقض ابن دواس عهده ، وجاهر بالعداوة ، وسعّر نيران الحرب .. وسيكون ذلك سبب هلاكه وضياع ملكه إلى الأبد<sup>(٢)</sup> !

---

(١) جاء في هامش ابن بشر - طبعة وزارة المعارف - أن الصبيخات تعرف اليوم بالصبيخة ، وهي نخيل منفوحة .

(٢) انظر ابن غنام . أما ابن بشر فيذكر وفاة محمد بن سعود ثم يتكلم عن نقض دهام للصلح ثم غزوه للصبيخات ، مما يوم أن ذلك كان بعد وفاة محمد بن سعود .. والحقيقة أنه حدث في حياته !

### المعركة الاولى :

كان أول عمل حربي قام به عبد العزيز ، بعد وفاة أبيه وتوليّه الإمارة :  
الثأر لأهل منفوحة من دهمام وجماعته ، فسار الى الرياض واستولى على بروج  
« جصان » ، فخرج ابن دواس ومقاتلته من البلدة منهزمين فارّين .. ولكن  
عبد العزيز لم يطمئن الى هذا النصر السهل ، فأمر رجاله بالنزول من الأبراج  
وحذّرهم مكر ابن دواس .

وكان حذر عبد العزيز في موضعه ، فابن دواس لم ينهزم ، وإنما أراد تأخير  
القتال حتى تصل اليه نجدة من عشائر « سبيع » ، النازلة على مقربة من الرياض  
— وكان قد تواطأ معها واستدعاها — فجاءت بعدد وعدّة ، وجرى بينها وبين  
مقاتلة عبد العزيز شيء من قتال ، وأدرك عبد العزيز أنه لا يستطيع قهر خصومه  
وحلفائهم لكثرتهم وحُسن استعدادهم ، فأثر الانسحاب والرجوع الى الدرعية<sup>(١)</sup>.

### الثأر من سبيع :

في ذلك الوقت كان الأمير عبد الله بن محمد ، أخو عبد العزيز ، والجد الأعلى  
للملك عبد العزيز ، نازلاً في « حريلا » ، مع جماعة من الفرسان ، فلما بلغه ما  
فعلته سبيع ، أسرع الى فرقة من سبيع ، تدعى آل شلية ، كانوا يرعون في  
« العرمة » ، وفاجأهم وهم في خيامهم ، وأخذ كل ما كان معهم من إبل وخيل  
ومتاع ، وبذلك أدبهم وانتقم من عشيرتهم شيئاً من انتقام<sup>(٢)</sup> .

### وقعة العدو :

في نفس هذا العام — ١١٧٩ — جرت وقعة عرفت باسم « العدو » ، وذلك

---

(١) انظر الهامش رقم (٢) في الصفحة السابقة .

(٢) ابن غنام وابن بشر .

أن ستين رجلاً من الموحدين عدوا على الرياض ، ولكن رجلاً خرج من الدرعية وأخبر عنهم أمير الرياض ، فاستعدّ لهم وقتل منهم ثمانية وأسر خمسة ، وهرب الآخرون الى الدرعية .

### غزوة الثالثة :

وفي تلك السنة أيضاً غزا عبد العزيز الرياض مرة ثالثة ، وقتل ستة من رجال ابن دواس ، ثم عاد الى الدرعية .

### الدفاع عن منفوحة :

وحاول ابن دواس في هذه السنة غزو منفوحة ، ولكنه لم يكد ينزل في نخيلها حتى أسرع الموحدون الى نجدة أهالي منفوحة ، فلما علم بمجيئهم تفادى القتال معهم وانسحب ...

سنة ١١٨٠ هـ .

### وقعة البنية :

غزا عبد العزيز الرياض في شوال من سنة ١١٨٠ هـ . ونزل « البنية » وقاتل أهلها ، فقتل منهم أربعة وقتلوا من رجاله واحداً فقط . وكان عبد العزيز ، قبل ذلك ، قد صادف في طريق عودته من غارة قام بها على ثرمدا غزواً لابن رواس ، فقتل رجالاً منهم <sup>(١)</sup> .

سنة ١١٨١ هـ .

### وقعتا المشيقيق والمجوز :

وفي عام ١١٨١ هـ . غزا عبد العزيز الرياض أيضاً ، ونزل « المشيقيق » ،

---

(١) أنظر ابن غنام وابن بشر .

وقتل من أهلها ستة رجال ، وقُتِلَ من الموحدين اثنان <sup>(١)</sup> .  
ثم عاد مرة أخرى إلى غزو الرياض ، وجرت بينه وبين أهلها معركة دُعيت  
باسم المكان الذي جرت فيه : « المجوز » ولم يكن فيها التحام ، وإنما جرى  
إطلاق النار من بعيد .. وكان قتل الموحدين فيها عشرة .. وقتل أهل الرياض  
خمسة <sup>(٢)</sup> .

وينفرد ابن بشر بذكر وقعة ثالثة حدثت في هذا العام ، يسميها وقعة « باب  
الشميرى » ، قتل فيها من الفريقين بضعة رجال ..

### قصر الغدوانة :

يقول ابن غنام ، في أخبار هذه السنة « ١١٨١ هـ . إن عبد العزيز ( أقام  
بقصر الغدوانة أياماً يغير على الرياض ويرجع مكانه ) .  
وهنا ينبغي لنا أن نقف قليلاً ، فما هو قصر الغدوانة ؟ وما هي خطورته ؟  
إنه قصر ( أو حصن ) كان عبد العزيز قد أمر ببنائه على مقربة من الرياض  
وشحنه بالمقاتلين والأسلحة والمؤن لأغراض حربية و « نفسانية » ، وقد ثبت  
أن هذا الأسلوب الجديد عظيم النفع في الحرب ، فقد استطاع عبد العزيز أن  
يضيّق الخناق على خصمه وأن يضعف روحه ويرصد تحركاته ويتخطف أفراده  
وجماعاته ، وكان هذا القصر منطلقاً لغزوات متتابعة متلاحقة ، فما يكاد أهل  
الرياض يتنفسون الصعداء من غزوة دفعوها بشق الأنفس حتى يفاجأوا بغزوة  
ثانية فتالفة تنهكهم ، وتجعلهم يعيشون دائماً في هذا النوع من الحروب الذي  
يسمونه بلغة العصر : حرب « الاستنزاف » .

---

(١) قال ابن غنام في وصف موقعة المشيقيق : ( وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض  
فنزّل بالمشيقيق ، وأقبل فزع أهل البلد إليهم وصدقوا الحملة عليهم ، ولكن الله من على المسلمين  
بالبثبات ، ولم يكن لهم إلى الفرار التفات ، فقتل من أهل الرياض ستة من الأشرار ، وقتل من المسلمين  
ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالي ، ورجع المسلمون إلى بلادهم ) .  
(٢) ابن غنام .

إن نجاح قصر الغدوانة جعل عبد العزيز يبني قصرأ مثله قرب السلمية، أطلق عليه اسم قصر « البدع » وكان له دور ملحوظ في الانتصار على أهل الخرج .

### توقف المعارك بين الدرعية والرياض أربع سنوات :

كانت سنة ( ١١٨١ ) ، كما يقول ابن بشر : ( أول القحط المعروف باسم « سوقة » ، غارت فيها الآبار وغلّت الأسعار ومات كثير من الناس جوعاً ومرضاً وجلا أكثر الناس في هذه السنة والتي تليها إلى الزبير والبصرة والكويت وغيرها ثم رجع الخصب ) .

فهل كانت هذه المجاعة سبباً في توقف المعارك بين الدرعية والرياض ؟  
الواقع هو أن المعارك بينها توقفت حتى عام ١١٨٥ هـ . أي نحو أربع سنوات ، باستثناء محاولة أشار إليها ابن غنام ، في أخبار سنة ١١٨٣ بقوله : « سار عبد العزيز يريد الرياض فصادف خيلاً لابن دواس عادية على الدرعية — بعد أن أخذت إبلاً كثيرة لسبيع — فقاتلها فتراجعت منهزمة ، ولم يكمل عبد العزيز مسيره إلى الرياض » .

وأكبر الظن أن سبب انصراف عبد العزيز ، خلال هذه المدة ، عن قتال ابن دواس هو اشتغاله بأمور حربية وسياسية في مجالات أخرى من شأنها أن توفر له عناصر القوة وتكفل له التغلب الحاسم على خصمه القوي ابن دواس ، ولقد حقق الله له رجاءه ، فرأينا الوشم والقصيم وثرمداء والعودة والحائر تقبل على عبد العزيز مبايعة ومعاهدة على السمع والطاعة ، وبذلك زاد أنصار عبد العزيز وتعاظمت قوته ، وفي نفس الوقت تحسنت العلاقات بين مكة والدرعية ، فزاد ذلك الدرعية بهاءً وسمعة ، وجعل لها في عيون خصومها مزيداً من الهيبة !

### سنة ١١٨٥ هـ .

استئناف القتال بين الدرعية والرياض — مقتل ولدي دهام :

في عام ١١٨٥ هـ . استؤنف القتال بين الدرعية والرياض بقوة وزخم ، وذلك

بعد أن أصبح عبد العزيز ، بما انضم إليه من بلدان نجد ، أكثر رجالاً وموارد من ابن دواس .

سار عبد العزيز الى الرياض ونزل منها على « معكال » ، فخرج اليه أهلها يقاتلونه ، فقتل منهم ستة ورجع عنهم ، ثم بدا له أن يعيد الكرة عليهم ، قبل أن تجف دماء قتلائهم ، فسار بالموحدين الى الرياض ، فلما وصلوا الى « عرقة » وجدوا دهام بن دواس عادياً عليها ، فأرادوا قتاله فهرب منهم ، ولكنهم تتبعوه وقتلوا من رجاله نحو عشرين قتيلاً ، وأمسكوا بولديه دواس وسعدون ، فقتلها عبد العزيز <sup>(١)</sup> .

ويقول مانحجان : إن فرس دواس عثرت وسقط صاحبها عنها - ووقع في قبضة الموحدين - ولكن فرسه تابعت جريها الى الرياض ، فلما رآها سعدون عرف أن أخاه قُتل ، فركبها عائداً الى مكان المعركة ، فأمسكوا به وأخذوه الى عبد العزيز فقتله. ويقال: إن عبد العزيز هو الذي قتل دواس أيضاً ، وبذلك ثار لمقتل أخويه ( فيصل ) و ( سعود ) اللذين سقطا شهيدين بأيدي رجال ابن دواس وأولاده ، عام ١١٦٠ هـ . في معركة الدرعية .

كان لمصرع دواس وسعدون في نفس أبيهما أثر هائل ، ولعله السر في تخاذله وضعفه وهربه من الحرب ، بعد ذلك !

ويصف ابن غنام حزن دهام على ولديه ، فيقول : « رجع دهام .. مرتدياً من الذل والخزي أضفى لباس ، متجرعاً من الهم أصفى كأس ، فلم تعد له بعد هذه عين قريرة ، ولا حالة من المعاش سريرة ، بل كلما غفّت العيون ، أبدى من الأسف المكنون ، ما لا يعرف ولا يقاس ، لا سيما على مفارقة سعدون ودواس ،

---

(١) يقول ابن بشر في وصف هذه الحادثة أن عبد العزيز لما بلغ عرقة « البلدة المعروفة أسفل الدرعية » ، وافق ابن دواس عادياً عليها بخيل وجيش ، فلما رأوا جيش عبد العزيز انهزموا فحث السير في أثرهم ، فعثرت فرس دواس بن دهام ، في ( صفاة الظهر ) التي بين عرقة والفوارة ، فأمسكه المسلمون ، وقتله عبد العزيز ، ثم قتل أخاه سعدون بن دهام ، وقتل معها في تلك الهزيمة نحو عشرين رجلاً .

فنودي عليه بلسان الحال من بعيد : ذلك بما قدّمتُ يداك ، وإن الله ليس  
بظلام للعبيد ! » .

### غزوات أخرى :

لم يكد عبد العزيز يرجع من غزو الرياض حتى عاد إلى غزوها مرة أخرى  
بعد عشرة أيام ، وقتل من رجالها أربعة .

وفي عام ١١٨٦ هـ . غزيت الرياض مرتين : غزاها عبد العزيز مرة وابنه  
سعود مرة ، وكان حصاد الغزوتين نحو عشرة قتلى من أهل الرياض والاستيلاء  
على عدد من أغنام البلد <sup>(١)</sup> .

---

(١) يقول ابن غنام ان قصد « سعود » من غزوة الرياض كان الاستيلاء على شي من إبل دواس  
وقد وصل سعود الى الرياض بعد الهجود فكُن كمينه .. فلما خرجت السوائم للرعاية أغار  
عليها المسلمون ، فالتجأت إلى البلد .. و ( خرج الفزع .. فتقابل كل من الفريقين واقتتل )  
وصدّتهم فرسان المسلمين ، فانهزموا مدبرين وقد قتل منهم سبعة » ..  
ويلاحظ أن ابن بشر جعل عبد العزيز أمير هذه الغزوة ، خلافاً لما قاله ابن غنام ..